

التوراة بين تحريف اللفظ وتحريف المعنى مع دراسة لكاتبها «عزرا»*

د - عبد الحليم كل أحمددي(**)

* هذا البحث مدعوم من إدارة الأبحاث بجامعة الكويت تحت رقم HP004.

(**) مدرس بقسم العقيدة - في كلية الشريعة - جامعة الكويت - سابقاً.

ملخص البحث:

- ١ - ثبت بطلان أدلة القائلين بعدم تحريف ألفاظ التوراة التي ثبت أنها حرفت لفظاً ومعنىً بالتفصيل الذي ورد في ثنايا البحث.
- ٢ - لا دليل على نبوة عزرا كاتب التوراة، أما الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها.... الخ فقد اختلف فيه العلماء بين أرميا وعزير، وعلى فرض أن يكون الثاني، فلا دليل يؤكّد أنه عزرا كاتب التوراة، ولا سيما أن المصادر اليهودية نفسها تعتبره كاهناً أو كاتباً وليس نبياً.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف رسله محمد، وعلى وآله وصحبه أجمعين.

نشأة فكرة هذا البحث:

فقد جرت الدراسات والأبحاث المعاصرة - في الأغلب - على مسلمة مفادها أن عزرا الكاهن هو الذي كتب التوراة، وأنها محرفة لفظاً ومعنى، إلا القدر اليسير، ثم بناء النتائج على ذلك.

تلك مسلمة لعلنا نتفق فيها مع الباحثين، ولكن ليس هذا هو موضوع البحث، وإنما موضوعه هو: التحقيق في رأي فريق من العلماء المسلمين يعتقدون أن القضية السابقة ليست مسلمة كما نظن، بل على عكس ذلك، لم يكن عزرا كاتب التوراة كاهناً وإنما نبياً، ولم تحرف ألفاظ التوراة وإنما التحريف المقصود به في القرآن الكريم هو تحريف معانيها فقط.

خطورة البحث وأهميته:

ومن هنا تأتي الخطورة المزدوجة لهذا الرأي - وهي في الوقت نفسه تمثل أهمية الموضوع أيضاً - وذلك ليس لأن الرأي يقلب الموضوع - كما قلنا - رأساً على عقب فحسب، بل لأنه أيضاً منسوب إلى أئمة من أمثال البخاري والرازي وغيرهما ممن يصعب الشك في مقدرتهم العلمية، وإذا كانت هذه خطورة الموضوع وأهميته فإن له غرابة لا تقل درجة عن تلك الخطورة والأهمية، وهي أن التوراة الحالية مليئة وطافحة بالتناقضات مع العلم والعقل والحقائق الراسخة، فكيف لهذا الفريق من العلماء المسلمين أن يذهبوا إلى عدم تحريف ألفاظها؟

ومع أن ذلك يجعل رأي هؤلاء مرجوحاً، فإنه في الوقت نفسه - وعلى عكس ما يظن - يضيف أهمية كبرى على الدراسة والتحقيق فيه، وذلك ليس لأن الدراسات الأكاديمية التخصصية يجب أن تهتم بكل الآراء فحسب بل لأن

الرأي الراجح يكتسب كثيراً من مصداقيته من الرأي المرجوح أيضاً، وذلك بعرضه بأمانة، ومناقشته، ورد أدلته.... الخ.

وقد ترك لنا سلفنا الصالح منهجاً في هذا الباب هو تقديم الرأي المرجوح، مع عرض أدلته بأمانة علمية، ثم مناقشتها والرد عليها، ثم عرض الرأي الراجح الذي لو لم يكن ذلك المرجوح لما كان هذا الراجح.

وعلى الرغم من خطورة الموضوع وأهميته بالصورة التي ذكرناها لم أجد في المكتبة العربية بحثاً أو كتاباً يتناوله بشيء من التفصيل ويحقق في أمره.

فكان هذا البحث الذي أضعه بين يدي القارئ.

تجنب التكرار وتضخم البحث:

على أن الدراسات التي تمت حتى الآن قد خدمت جانباً مهماً من هذا البحث، وهي دراسة متن التوراة ونقده، بذكر عشرات الأمثلة من تحريفها، ومثلها من قصص ضياع التوراة، كما تحكي التوراة نفسها، وعلى هذا ليس للباحث في هذا الجانب إلا التبويب والعرض الجيد والتعليق، على أن عرض كل هذه النصوص بتفاصيلها لا يؤدي إلى تضخم البحث فحسب، بل إلى التكرار الممل أيضاً، كما أن عدم عرضها - أصلاً - يعد تقصيراً في جانب مهم من البحث.

وتخلصاً من هذه المشكلة، ومع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الدراسة معروضة على المتخصصين، أخذنا بالطريق الوسط، وهو ذكر الموضوع دون النصوص التفصيلية، مع الإشارة في الهامش إلى المصدر لمن أراد التأكيد أو المزيد.

وبذلك تجنبنا التكرار والتضخم في البحث، لكي نفسح المجال للتفصيل فيما لم يحقق من الموضوعات، كموضوع عزرا، ومعرفة أدلة الفريق المذكور والرد عليها.... الخ.

منهج البحث:

وبهذا جاء منهج البحث كالتالي:

أعطيت فكرة موجزة عن العهد القديم أو التوراة، ثم ذكرت بالإجمال آراء العلماء المسلمين حول تحريف التوراة، ومدى هذا التحريف، ثم بدأت بدراسة الرأي المرجوح مع أدلته من الكتاب والسنة والعقل، وناقشت هذه الأدلة ناقداً لها كلها، ثم أوضحت الرأي الراجح مع أدلته، ومنها: نقد متن التوراة الطافح بالتنافضات والخرافات.

ثم درست شخصية عزرا بين الفريقين: فقدمت أدلة الفريق القائل: بأنه كان نبياً، ثم ذكرت أدلة الفريق القائل: بأنه كاهن أو كاتب، ونقدت أدلة الفريق الأول مرجحاً الرأي الثاني، وتناولت خلال ذلك تلك الدراسات المعاصرة التي ترى في عزرا مؤرخاً، كتب تاريخاً، ثم سماه التوراة، مع مناقشتها.

وأنهيت البحث بالخلاصة والنتائج

والله تعالى أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وهو نعم المولى ونعم النصير.

التعريف بالتوراة

تعد التوراة جزءاً من الكتاب المقدس، وهي تعني في اللغة العبرية الشريعة أو الناموس^(١).

وينقسم الكتاب المقدس المتداول بين الناس اليوم إلى العهد القديم والعهد الجديد.

وينقسم العهد القديم إلى أربع مجموعات أساسية هي:

١ - أسفار موسى الخمسة، وهي الأسفار وحدها التي نزلت على موسى عليه السلام بالاتفاق بين أغلب أهل الكتاب.

وهي عبارة عن: سفر التكوين، والموضوع الرئيس فيه هو خلق العالم، وخلق آدم عليه السلام، وخروجه من الجنة... الخ. وسفر الخروج، والموضوع الرئيس فيه خروج بني إسرائيل من مصر نحو سيناء، وما يتعلق بذلك من الأحداث والقضايا.

وسفر اللاويين أو بني اللاويين، وهم قبيلة من قبائل أو سبط من الأسباط الاثني عشر، قيل: إنه سبط موسى - عليه السلام - نفسه، ويتحدث غالباً عن هذه القبيلة، وعن كهنة بني إسرائيل ورجال الدين...

وسفر العدد، ويتحدث - غالباً - عن عدد بني إسرائيل، وعدد القبائل ويهتم ببعض التشريعات.....

وسفر التثنية، ويتحدث - غالباً - عن التشريعات، ويقال: إنه سمي بهذا الاسم لأن ما ذكر في الأسفار الأخرى من الأسفار الخمسة يتكرر ذكره هنا مرة أخرى.

٢ - الأسفار التاريخية، وهي الأسفار التي تتحدث عن بني إسرائيل بعد دخولهم كنعان واستقرارهم في فلسطين، كما تتحدث عن أهم الأحداث التي وقعت

(١) المنار ٣/ ١٥٥

للإهود، وعددها اثنا عشر سفرًا كما يلي: سفر يشوع أو يشوع، سفر القضاة، سفر راعوث، سفر صموئيل، سفر الملوك، سفر أخبار الأيام، سفر عزرا، سفر نحميا، وسفر استير.

٣ - أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي أناشيد ومواظ، معظمها دينية ومؤلفة تأليفاً شعرياً في أساليب بليغة، وعددها خمسة أسفار كما يلي: سفر أيوب، سفر مزامير داود، سفر أمثال سليمان، سفر الجامعة من كلام سليمان، وسفر الأناشيد لسليمان.

٤ - أسفار الأنبياء، وهي الأسفار التي تتحدث عن أنبياء بني إسرائيل الذين جاؤا بعد موسى وهارون عليهما السلام، وعددها سبعة عشر سفرًا، وهي كما يلي:

سفر أشعياء، سفر أرمياء، سفر مراثي أرميا، سفر حزقيال، سفر دانيال، سفر هوشع، سفر يوشع، سفر عاموس، سفر عويديا، سفر يونا، سفر ميخا، سفر ناحوم، سفر حبقوق، سفر صفينا، سفر حجي، سفر زكريا (وهو غير زكريا التي ورد ذكره في القرآن الكريم) وأخيراً سفر ملاحي.

والمجموعات الأربع تكوّن تسعة وثلاثين سفرًا، يطلق عليها العهد القديم، وذلك إزاء الأناجيل، وسائر أسفار النصرانية التي يطلق عليها العهد الجديد، وتعنى كلمة العهد: الميثاق^(١).

كما تطلق عليها أي على المجموعات الأربع «التوراة» مجازاً، لأن التوراة الحقيقية هي أسفار موسى الخمسة التي نزلت على موسى عليه السلام كما ذكرنا.

والتوراة بمعنى (العهد القديم) ليست نسخة واحدة، بل هي عدة نسخ، والمجموعات الأربع المكونة من تسعة وثلاثين سفرًا هي النسخة البروتستانتية يؤمن بها اليهود كما يؤمن بها البروتستانت من النصارى.

(١) أي أنه ميثاق أخذه الله على الناس، وارتبطوا به معه.

أما النسخة الكاثوليكية فتضيف على تلك الأسفار سبعة أسفار أخرى فتضم نسختهم ستة وأربعين سفرًا.

وهذا يعني أن هناك سبعة أسفار لا يؤمن بها البروتستانت واليهود أنفسهم، وإنما يؤمن بها الكاثوليك فقط، وهناك النسخة السامرية المكونة من سبعة أسفار فقط، هي أسفار موسى الخمسة، وسفرا يوشع، والقضاة، يؤمن بها اليهود السامريون الذين يعتبرون الأسفار الأخرى مجرد خرافات لم ينزل الله بها من سلطان.

وقد تُرجمت التوراة من العبرية إلى اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد في عهد بطليموس الذي جمع من كل سبط من أسباط اليهود الاثنى عشرة ستة من العلماء والأحبار، وذلك لترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية، فقاموا بذلك، قيل في اثنين وسبعين يوماً، وسميت هذه النسخة بالنسخة السبعينية، أو النسخة اليونانية^(١).

ويرى البعض^(٢) أن الترجمة العربية المتداولة بين الناس اليوم هي من اليونانية واللاتينية، وقيل: من العبرية واليونانية، وقد تمت في منتصف القرن التاسع عشر.

وتشمل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفرًا، لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا، وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية، وهي غير مطابقة تماماً لها، ففيها بعض الزيادات أو الحذف في الأسفار، وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية المسيحية جميع الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمة اللاتينية عن الأصل العبري، واعتبرتها كلها أسفاراً وأجزاء مقدسة، واعتبرتها من أسفار العهد القديم وأجزائه، ولكن معظم البروتستانت من المسيحيين لا يعتبرون هذه الزيادات مقدسة، ولا يعتبرونها

(١) انظر مثلاً: أبا الفداء عماد الدين، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت ص ٣٣.

(٢) انظر: د. علي عبدالواحد وافي: الأسفار المقدسة ص ٢٢ وقارن به ص ٢١.

من العهد القديم، أما اليهود أنفسهم فإنهم يدخلون في القسم الذي يسمونه الأسفار الخفية^(١).

تحريف العهد القديم أو التوراة:

يتفق العلماء المسلمون على أن الكتب السماوية السابقة، ومنها التوراة قد حرفت؛ لأن القرآن الكريم قد أخبر عن ذلك؛ إذ يقول الله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾^(٢) ويقول في موضع آخر: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٣).

ويقول في موضع آخر: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(٤).

ويقول تعالى في سورة البقرة محذراً أهل الكتاب. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٥).

الخلاف حول مدى التحريف ونوعيته:

وإنما الخلاف في مدى هذا التحريف وطبيعته. فبينما يذهب فريق منهم إلى أن ألفاظ التوراة وممتنها سليم لم يحرف، المقصود بالتحريف الوارد في القرآن الكريم هو تحريف المعنى والتفسير فقط، أي أن التحريف وقع في

(١) المصدر السابق باختصار وتصرف.

(٢) سورة البقرة آية ٧٥.

(٣) سورة النساء آية ٤٦.

(٤) سورة المائدة آية ١٣.

(٥) سورة البقرة آية ٧٩.

التأويل وليس في التنزيل كما قالوا، يرى فريق آخر أن الألفاظ هي التي حُرِّفت، وبالتالي وقع التحريف في اللفظ والمعنى معاً.

وفيما يلي ندرس كلا الرأيين مع أدلتهم:

القائلون بعدم تحريف ألفاظ التوراة:

يرى فريق من العلماء أن التحريف وقع في معاني التوراة وهو المراد من التحريف المذكور في القرآن الكريم، أما ألفاظها فلم تحرّف ونسب هذا إلى الأمام البخاري والإمام فخر الدين الرازي رحمهما الله تعالى والمحدث الهندي الشهير شاه ولي الله الدهلوي.

قال ابن قيم الجوزية^(١) رحمه الله تعالى «وقد اختلفت أقوال الناس في التوراة التي بين أيديهم، هل هي مبدلة؟ أم التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل؟ على ثلاثة أقوال: طرفين ووسط».

ثم قال^(٢): «وقال طائفة من أئمة الحديث والفقه والكلام: بل التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل، وهذا مذهب أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري» علماً بأن البخاري - رحمه الله - يروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما بالتفصيل الذي سيأتي.

ويضيف^(٣) «وهو اختيار الرازي في تفسيره» فقد قال في تفسيره متسائلاً^(٤): كيف يمكن إدخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس؟

ثم يجيب عن ذلك^(٥) بقوله: لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل، يجوز

(١) إغاثة اللهفان: ٣٤٥/٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٤٥/٢ - ٣٤٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير الرازي ٩٥/٧ وانظر: المجلد الثالث ص ٢٦٨ و٢٦٧ رواية عكرمة وابن

عباس، دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٩٧.

(٥) المصدر السابق.

عليهم التواطؤ على التحريف، ثم إنهم عرضوا ذلك المحرّف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون هذا التحريف ممكناً.

ثم يقول موضحاً رأيه^(١): «والأصوب - عندي - في تفسير الآية وجه آخر، وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر وتأمل القلب، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة، والاعتراضات المظلمة، فكانت تصوير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين، واليهود كانوا يقولون: مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه، لا ما ذكرتم، فكان هذا هو المراد بالتحريف». وهذا يدل على أن الرازي يميل فعلاً إلى عدم تحريف ألفاظ التوراة.

أما شاه ولي الله الدهلوي فقد قال^(٢): أما التحريف اللفظي فإنهم كانوا يرتكبونه في ترجمة التوراة وأمثالها، لا في أصل التوراة ثم أضاف^(٣) وهو قول ابن عباس والسنة والعقل.

أما الكتاب، فقدت استدلوها^(٤) بكل الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن مدح التوراة مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾^(٥).... كما استدلوها بمطالبة القرآن الكريم اليهود بتحكيم التوراة والحكم بها كقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾^(٦). وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧).

ويقولون: لو كانت التوراة كلها مبدلة ومحرفة لما صح مدحها وطلب الاحتكام إليها من قبل القرآن الكريم.

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير ص ١٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر مثلاً: ابن حزم: الفصل في الملل ٣١٣/١ وما بعدها، وهو يعرض أدلتهم، ويرد عليها، وانظر: ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان ٢٤٦/٢ وما بعدها.

(٥) سورة المائدة آية ٤٤.

(٦) سورة المائدة آية ٤٣.

(٧) سورة آل عمران آية ٩٣.

أما السنة فاستدلوا بما رواه أبو داود^(١) في سننه عن ابن عمر قال:

أتى نفر من اليهود، فدعوا رسول الله ﷺ إلى القف، فأتاهم في بيت المدارس، فقالوا: يا أبا القاسم، إن رجلا منا زنى بإمرأة فاحكم، فوضعوا لرسول الله ﷺ وسادة فجلس عليها، ثم قال ائتوني بالتوراة، فأتى بها، فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها، ثم قال: آمنت بك، وبمن أنزلك، ثم قال: ائتوني بأعلمكم، فأتى بفتى شاب ثم ذكر قصة الرجم...

ويمكن أن يستدل بهذا الحديث على عدم تحريف التوراة من عدة وجوه:

- أ - قبول الرسول ﷺ الاحتكام إلى التوراة.
 - ب - تقديره لها ونزع الوسادة ووضعها عليها.
 - ج - قول الرسول ﷺ لها: آمنت بك وبمن أنزلك.
 - د - وجود آية الرجم فعلا في التوراة.
- وكل ذلك ينفي تحريف أو تبديل ألفاظ التوراة، وإن كان لا ينفي التحريف في تأويلها.

كما استدلوا بما رواه البخاري^(٢) - رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما «يحرفونه، يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله تعالى ولكنهم يحرفونه، يتأولونه على غير تأويله».

أما العقل: فاستدلوا^(٣) كما ذكر ابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان^(٤):

-
- (١) انظر: أبو داود ٣٢ الحدود و٢٦ ح ٤٤٥٢، وانظر - في هذا المعنى - فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٦٩/٨ و٤٢٣/١٣.
 - (٢) البخاري، وفي تراجمه ك ٩٧ ب ٥٥ / ٢١٦، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٣٦/١٣.
 - (٣) انظر، إغاثة اللهفان ٣٤٦/٢ وما بعدها.
 - (٤) المصدر السابق.

١ - بكثرة نسخ التوراة التي تبلغ آلاف مؤلفة، متفقة في الألفاظ والكلمات، فلو حرفت ألفاظ التوراة، لظهر ذلك في بعض النسخ في بعض البلاد «فمن الممتنع أن يقع التواطؤ على التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ، بحيث لا يبقى في الأرض نسخة إلا مبدلة مغيرة، والتغير على منهاج واحد، وهذا مما يحيله العقل، ويشهد بطلانه».

٢ - كما استدلوا بوجود صفات الرسول ﷺ في التوراة وإخبارها بمجيئه، فلو كان اليهود بدلوا ألفاظ التوراة، لكانت تلك الصفات هي أول ما يبدلونه، وعلى هذا «لم يكن إزالة تلك الصفات لهم، وإنما زعمهم الله تعالى بكتمانهم، وكانوا إذا احتج عليهم الرسول أو القرآن بما في التوراة من نعته وصفته يقولون: ليس هو، ونحن ننتظره».

وهذا دليل على عدم تحريف التنزيل، أي الألفاظ - وإنما على تحريف التأويل أي المعنى^(١).

وبالنظر في هذه الأدلة يتضح لنا أن أصحابها يرون:

١ - أن الله قد مدح التوراة في القرآن الكريم، بل وطلب من اليهود تطبيقها والاحتكام إليها وإن الرسول ﷺ أحترمها، وليس كل هذا شأن كتاب محرف.

٢ - إن نسخ التوراة وألفاظها متشابهة على الرغم من كثرتها.

٣ - وجود آية الرجم وصفات الرسول ﷺ دليل على عدم تحريف ألفاظها.

٤ - بل إن صحابياً جليلاً ومفسراً عظيماً دعا له الرسول ﷺ ينص صراحة على أنها لم تحرف في ألفاظها.

فكيف نقول بعد ذلك بتحريفها؟ أما ما ورد من كلمة التحريف في القرآن الكريم بالنسبة إلى التوراة فيفسر بأنه تحريف في المعنى وذلك للأدلة السابقة. والآن قبل أن نرد على هذه الأدلة يجب علينا أن نحدد بالضبط مرادنا من التحريف.

(١) المصدر السابق.

فالأدلة السابقة كلها قد تفحم القائلين بأن التوراة قد بدلت تبديلاً لم يبق فيها شيء صحيح، وبالتالي يقال لهم: وكيف مدحها الله تعالى؟ وكيف وجدت فيها آية الرجم... الخ.

ولكن إذا قلنا: إن معظمها هو الذي حرف، ولا يزال فيها بعض الحق، مثل آية الرجم وصفات الرسول - ما استطاع اليهود أن يحرفوه خوفاً من افتضاح أمرهم، فإن معظم الأدلة السابقة - بما فيها حديث القف - يمكن الرد عليها بأن مدح التوراة والاحتكام إليها يمكن أن يكون لأجل هذا القدر اليسير من الحق.

يقول ابن حزم^(١) عن الإنجيل (وهو ما ينطبق على التوراة أيضاً) ثم يعرج إلى التوراة وأما قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكَمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾.

فحق على ظاهره؛ لأن الله تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمد ﷺ، واتباع دينه، ولا يكونون أبداً حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه إلا باتباعهم دين محمد ﷺ، فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل في الإنجيل الذي ينتمون إليه، فهم أهله، ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلاً، وليس بإنجيل، ولا أنزله الله تعالى كما هو قط فالآية موافقة لقولنا، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدل لا بنص ولا بدليل، إنما فيها إلزام النصارى الذين يتسمون بأهل الإنجيل: «أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وهم على خلاف ذلك»، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾.

فحق كما ذكرناه قبل، ولا سبيل إلى إقامة التوراة والإنجيل المنزلين بعد تبديلهما إلا بالإيمان بمحمد ﷺ، فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل حقاً، لإيمانهم بالمنزل فيهما. وجدهم ما لم ينزل فيهما، وهذه هي إقامتهما حقاً.

وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا

(١) الفصل: ٣١٧/١.

معكم ﴿ فنعم، هذا عموم، قام البرهان على أنه مخصوص، وأنه تعالى، إنما أرادت مصداقاً لما معكم من الحق، لا يمكن غير هذا، لأننا بالضرورة ندري أن معهم حقاً وباطلاً، ولا يجوز تصديق الباطل الألبتة، فصح أنه إنما أنزله تعالى مصداقاً لما معهم من الحق.

وقد قلنا: إن الله تعالى أبقى في التوراة والإنجيل حقاً، ليكون حجة عليهم وزائداً في خزيمهم، فبطل تعلقهم بشيء مما ذكرنا، وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

ويقول صاحب المنار - معقّباً على تحريف التوراة -: يستحيل أن تنسى تلك الأمة بعد فقد كتاب شريعتها جميع أحكامها، فما كتبه عزرا وغيره مشتمل على ما حفظ منها إلى عهده، وعلى غيره من الأحرار، وهذا كاف للاحتجاج على بني إسرائيل بإقامة التوراة، وللشهادة بأن فيها حكم الله كما ورد في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

بقي علينا أن نجيب عن تشابه النسخ ومماثلتها، وعن حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أما تشابه النسخ وتطابقها على الرغم من كثرتها فغير مسلم به؛ لما سيأتي من الاختلاف في تلك النسخ بشيء من التفصيل، وبالإضافة إلى ذلك هناك نسخ عديدة للتوراة، تختلف بعضها عن بعض في عدد الأسفار.

فهناك النسخة الكاثوليكية وهي ٤٦ سفراً أي بزيادة سبعة أسفار على النسخة البروتستانتية التي هي ٣٩ سفراً، ومعنى ذلك أن الأسفار السبعة عند البروتستانت محرفة مزيفة، وهي صحيحة ومنزلة من عند الله عند الكاثوليك.

وبالإضافة إلى هاتين النسختين، هناك النسخة السامرية، وهي سبعة أسفار فقط، مما يعني أن الأسفار الأخرى عند السامريين من اليهود محرفة

(١) المائدة: ٤٣، وانظر تفسير المنار ١٥٨/٣.

مزيفة، وأن الصحيحة المنزلّة منها هي تلك السبعة فقط، وهناك نسخ أخرى مثل النسخة السبعينية.

وكل تلك النسخ كثيراً ما يختلف في محتواها ومعانيها، وتتناقض بعضها مع بعض، فكيف نقول بتطابق النسخ وتشابها، ونستدل بذلك على عدم تحريفها؟

وإذا ما سلمنا جدلاً بتشابه النسخ وتطابقها، فإن ذلك ليس دليلاً على عدم تحريفها؛ وذلك لاحتمال التحريف في النسخة الأولى الأصلية، كما حدث ذلك فعلاً بالتفصيل الذي سيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى.

يقول الأستاذ رحمة الله صاحب كتاب إظهار الحق عن الاختلافات بين النسخ التوراة: «إن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوع عليه السلام على وفق العبرانية ١٦٥٦ سنة، وعلى وفق اليونانية ٢٢٦٢ سنة، وعلى وفق السامرية ١٣٠٧ سنين»^(١).

«ولأجل هذا الاختلاف الفاحش ما اعتمد يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير على نسخة من النسخ المذكورة، بل خالفها جميعاً، واختار أن المدة ٢٢٥٦ سنة»، والزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم عليه السلام على وفق العبرانية ٢٩٢ سنة، وعلى وفق اليونانية ١٠٧٢ سنة. وعلى وفق السامرية ٩٤٢ سنة^(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يحق لنا القول بتشابه النسخ؟ وسوف يتضح لنا هذا الأمر عند دراستنا لنقد التوراة بمعرفة عشرات الأمثلة من التحريف فيها.

أما ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما فالجواب عنه

(١) إظهار الحق ١/٢٢٦.

(٢) المصدر السابق ١/٢٢٧.

١ - قوله «وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل.... ليس من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، ويمكن معرفة ذلك إذا ما نظرنا إلى سياق الكلام فقرأنا ما قبله وما بعده، فقد ورد هذا الكلام^(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ وبعد أن يروي البخاري عن قتادة رضي الله عنه يقول: (٢). «وقال ابن عباس: يكتب الخير والشر، يحرفون: يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل، ولكنهم يحرفونه، يتأولونه عن غير تأويله، دراستهم تلاوتهم واعية حافظة»...

نقول: إن جملة وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل.... الخ ليس من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، ومما يدل على ذلك قول العسقلاني^(٣) شارح البخاري: «لم أر هذا موصولاً من كلام ابن عباس من وجه ثابت، مع أن الذي قبله من كلامه، وكذا الذي بعده، وهو قوله: دراستهم تلاوتهم وما بعده» ومعنى ذلك أن هذا الكلام إضافة، وليس من كلام ابن عباس، كما يرى ابن حجر العسقلاني شارح البخاري.

٢ - وما يؤكد ذلك: أن البخاري نفسه - رحمه الله - روى عن ابن عباس رضي الله عنه رواية أخرى تعارض الرواية السابقة، فقد روى البخاري^(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم، وعندكم كتاب الله، أقرب الكتب عهداً بالله، تقرأونه محضاً لم يشب؟.

وروى البخاري^(٥) فقال: «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٣٤٥.

(٢) المصدر السابق ١٣/٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق ١٣/٤١٦.

(٥) المصدر السابق ١٣/٤١٦.

الله وغيروا فكتبوا بأيديهم، ثم قالوا: هو من عند الله، ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً، أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم».

وأمام هذا التعارض أو التناقض نرى أن الراجح من رأى ابن عباس هو الرأي الثاني وذلك للآتي:

١ - إن القول بالتحريف اللفظي ورد في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(١) وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

٢ - إن القول بالتحريف اللفظي يؤيده واقع التوراة كما سيأتي عند نقد متن التوراة.

٣ - إن القول بالتحريف اللفظي نقله كثير من المفسرين عن ابن عباس، مثل الرازي^(٣) والزمخشري^(٤) في تفسير قوله تعالى: يلوون السنتهم بالكتاب». ومثل الطبري في جامع البيان^(٥).

أدلة القائلين بالتحريف الشامل في التوراة:

يرى ابن قيم الجوزية وابن حزم وغيرهما من العلماء القائلين بتحريف كل أو جل التوراة بل بتبديلها وأنها ليست هي التوراة التي أنزلها الله تعالى، أن التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى - عليه السلام - كانت نسخة واحدة، وضعها موسى في التابوت، وأعطاه لقبيلته «اللاويين، أو بني اللاويين»، وأخرج من جملة

(١) المائدة آية ١٣.

(٢) البقرة آية ٧٩.

(٣) التفسير الكبير ٨/ ١١٤.

(٤) الكشاف ١/ ٣٧٧.

(٥) انظر ٣/ ٣٢٣ - ٢٤.

التوراة سورة واحدة تتعلق بالأحكام العملية أعطاهها لبنى إسرائيل للعمل بها^(١)، ودأب بنو إسرائيل على فتح التابوت كل سبع سنوات، لكي ينظروا إلى التوراة ثم يغلقون التابوت حسب أوامر موسى عليه السلام^(٢)، هذه النسخة الوحيدة الموجودة في التابوت ضاعت، ولم يكن لدى بني إسرائيل غيرها، وذلك - كما تنص التوراة نفسها - عندما فتح بنو إسرائيل التابوت عند الانتهاء من بناء هيكل سليمان، وفي عهده، إذ فوجئوا بخلو التابوت عن التوراة، فبكوا بكاء عظيماً.... الخ^(٣).

ومن الغريب أن سليمان عليه السلام الذي كان قادراً على إحضار عرش بلقيس بواسطة الجن في طرفة عين لم يقدر على العثور على التوراة كما تذكر التوراة نفسها، بل عثر عليها كما تقول التوراة أيضاً، الكاهن حلقياً^(٤) بعد حوالي ثلاثمائة وخمسين عاماً، في عهد الملك يوشيا، في الهيكل نفسه، فأحضرها أمام الملأ فبكى بنو إسرائيل بكاءً عظيماً مرة أخرى فرحاً.... الخ. وعلى فرض صحة العثور على نسخة التوراة الوحيدة الضائعة بواسطة هذا الكاهن فإن التوراة تعرضت للضياع بعد ذلك عدة مرات: عندما أحرقتها بختنصر الحاكم البابلي وهو يحرق الهيكل كله، وكان فيه التوراة^(٥).

وعند وقوعها بين أيدي أعدائهم وهم يحاربونهم مقدمين التوراة أمام الجيوش في الجبهة، تيمناً وتبركاً بها^(٦).

والذين يقولون بضياع التوراة - بالإضافة إلى ابن قيم الجوزية وابن حزم - كثيرون^(٧)، ويتفق هذا الفريق على أن التوراة الحقيقية بعد ضياعها كتبها عزرا، فالتوراة الموجودة هي توراة عزرا، وليست توراة موسى.

(١) انظر سفر التثنية ٣١، ٢٤ - ٢٧.

(٢) انظر: سفر الملوك ٨: ٩.

(٣) سفر الملوك الأول: ٨: ٩.

(٤) سفر الملوك ٢٢: ٨.

(٥) انظر اظهر الحق ص ٣٢٧ - ٢٨.

(٦) المصدر السابق.

(٧) انظر: الفصل في الملل ١/ ٢٩٠.

رأي ابن حزم خاصة:

وإذا كان هؤلاء العلماء يستدلون على تحريف التوراة وتبديلها كلية بضياعها في عهد سليمان عليه السلام وبعض الحروب التي خاضها اليهود ضد أعدائهم، فإن ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) يضيف دليلاً جديداً على ضياع التوراة، وهو: ارتداد اليهود مرات عديدة من اليهودية إلى الوثنية التي لم تكن تجد نفسها ملزمة بالحفاظ على التوراة، إن لم تكن تلزم نفسها بتحريفها وتبديلها.

ويستعين ابن حزم في ذلك باستعراض دقيق ومفصل لتاريخ اليهود وملوكهم والدول التي تعاقبت عليهم من موسى عليه السلام حتى الملك طالوت، لينتهي إلى أنهم ارتدوا مرات عديدة عن اليهودية إلى الوثنية، والتالي من الطبيعي ألا تبقى التوراة - الكتاب السماوي المنزل الذي يدعو إلى التوحيد بعيدة عن التحريف.

ويلخص ابن حزم هذا الاستعراض المفصل بقوله^(١): «فاعلموا الآن أنه كان قد دخلوا الأرض المقدسة إثر موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو «شاول» سبع رّدات؛ فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام؛ فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام، والثانية: ثمانية عشر عاماً والثالثة: عشرين عاماً، والرابعة: سبعة أعوام، والخامسة: ثلاثة أعوام، وربما أكثر، والسادسة: ثمانية عشر عاماً والسابعة: أربعين عاماً «ثم يضيف^(٢): فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم.

ويستعرض ابن حزم تاريخ بني إسرائيل بالطريقة نفسها، ثم يقول^(٣): «فقد صح - يقيناً - أن جميع أسباط بني إسرائيل حاشى سبط يهوذا

(١) الفصل في الملل ١/ ٢٩٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق صفحة ٢٩٧.

وبنيامين ومن كان بينهم من بني هارون بعد سليمان عليه السلام مدة مأتى عام وواحد وسبعين عاما لم يظهر فيهم قط إيمان، ولا يوما واحدا، فما فوقه، وإنما كانوا عباد أوثان، ولم يكن قط فيهم نبي إلا مخاف ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم، ولا أثر، ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلا، مضى على ذلك جميع عامتهم، وجميع ملوكهم، وهم عشرون ملكا....».

ويواصل ابن حزم هذا الاستعراض إلى عزرا وتدمير بيت المقدس بواسطة بختنصر فيقول في آخر استعراضه لملوك بني إسرائيل: «ثم ولى يوشا المؤمن الفاضل إحدى وثلاثين سنة، ثم لم يل بعده إلا كافر ملعن عبادة الأوثان مدة اثنين وعشرين عاما وستة أشهر، منهم: من نشر أسماء الله من التوراة، ومنهم: من أحرقتها وقطع أثرها، ولم نجد بعد هؤلاء من ظهر فيهم إلا الكفر، وقتلة الأنبياء عليهم السلام إلى أن انقطع أمرهم جملة بغارة بختنصر، وسبوا كلهم، وهدم البيت، واستأصل أثره.

هذا إلى غارات كانت على مدينة بيت المقدس وهيكلها الذي لم تكن التوراة عند أحد إلا فيه، لم يترك فيها شيء، مرة أغار عليهم صاحب مصر أيام رصعاص بن سليمان، ومرتين في أيام أمصيا هو الملك من قبل صاحب العشرة الأسباط، إلى أن أملاها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهاروني، وهم مقرون أنه وجدها عندهم، وفيها خلل كثير فأصلحه، وهذا يكفي. وكانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم، ولم يصلحها، إلا بعد نحو أربعين عاما من رجوعهم إلى البيت... ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت....».

ويعتقد ابن حزم أن الترجمة السبعينية للتوراة تختلف عن تورا عزرا فيقول^(١): «وأياضا فإن التوراة التي ترجمها السبعون شيخا لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة وأفشوها مخالفة للتي كتبها لهم عزرا الوراق....».

وما يقوله ابن حزم هو ما يراه صاحب كتاب إظهار الحق فيقول^(٢):

(١) المصدر السابق ص ٢٩٩.

(٢) انظر: ٢٣٥ - ٢٣٩ باختصار.

«ارتدت أكثر بني اسرائيل من آخر مدة سليمان الذي كان أول من ارتد وعبد الأوثان وبني لها المعابد - بزعمهم - وولديه اللذين اقتسما ملكه، فكان مملكتين مملكة اسرائيل المؤلفة من عشرة أسباط، ومملكة يهوذا المؤلفة من السبطين الآخرين وغلبت الوثنية وعبادة الأصنام عليهما معاً، وإن كانت على الأولى أغلب. وامتد ذلك زهاء أربعة قرون، لم يعد للمملكتين فيها حاجة إلى التوراة، إلى أن جلس (يوشيا) بن (آمون) على سرير السلطنة، فتاب من الشرك، وأراد إعادة دين موسى إلى الشعب، ولكنه لم يجد نسخة من التوراة إلى سبع عشرة سنة من ملكه، إذ ادعى حلقيا الكاهن في السنة الثامنة عشرة: أنه وجد نسخة من شريعة موسى في بيت الرب (ويقول صاحب قاموس الكتاب المقدس في هذه النسخة ربما كانت «سفر التثنية» وحده) ويدعون أن العمل جرى على تلك النسخة مدة الثلاث عشرة سنة التي بقيت من ملكه، وقد ارتد من بعده من الملوك وسلط الله على أولهم ملك مصر، وعلى ثالثهم بخت نصر، ولم تذكر نسخة الشريعة من بعده، فلا يعلم أحد ما أصابها».

نستخلص من كل ما ذكرنا أن توراة موسى بشهادة أسفار التوراة الحالية نفسها قد ضاعت، وأن اليهود ارتدوا مرات عديدة، ثم أخذوا سبائاً إلى بابل، فكتب لهم عزرا التوراة، فالتوراة الحالية هي توراة عزرا وهي محرّفة وسوف نرى بعد قليل أن دراسة متأنية لمتن التوراة تؤيد هذا الرأي، إلا أننا قبل أن نقوم بهذه الدراسة ينبغي أن نعرف من هو عزرا هذا الذي كتب التوراة؟

عزرا كاتب التوراة

عزرا أم أرمياً؟

تأتي أهمية دراسة عزرا في بحثنا من أنه كاتب التوراة كما ذكرنا، فهل كتب التوراة بإلهام؟ أو وحي من الله سبحانه وتعالى؟ وبالتالي يصح القول: إن التوراة الحالية صحيحة غير محرّفة على الأقل في ألفاظها؟ أم أنه مجرد كاهن خلط الحابل بالنابل في كتابته للتوراة؟

ترتبط قصة عزرا الذي تسميه المراجع الإسلامية (عزيراً)^(١) ويبدو أنه تصغير لعزرا، بالآية القرآنية التي وردت في سورة البقرة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...﴾ الخ^(٢).

ويختلف العلماء المسلمون في المقصود بهذه الآية هل هو عزير أو أرميا فابن جرير الطبري - مثلاً - يروي كلا القولين^(٣)، ثم يقول^(٤): «وجائز أن يكون ذلك عزيراً وجائز أن يكون أرميا».

أما ابن الأثير^(٥): فيرى - أيضاً - أن عزرا هو عزير، ويقول ابن كثير^(٦): إن هذا الذي ذكره ابن جرير من أن هذا المار على هذه القرية هو أرميا عليه السلام قاله وهب بن منبه، وعبدالله بن عبيد بن عمير، وغيرهما، وهو قوي من حيث السياق المتقدم.

ثم يضيف^(٧): «وقد روى عن علي وعبدالله بن سلام وابن عباس والحسن وقتادة والسدى وسليمان بن بريدة وغيرهم أنه عزير».

ثم يرجح هذا القول الأخير قائلاً^(٨): «وهذا أشهر عند كثير من السلف والخلف. والله أعلم».

ويروي فخر الدين الرازي في تفسيره^(٩) الاختلاف بين القائلين بأنه عزير أو أرميا ثم يضيف^(١٠): «وقال وهب بن منبه: إن أرميا هو النبي الذي بعثه الله عندما ضرب بختنصر بيت المقدس وأحرق التوراة».

(١) أنظر: المنار ١٠/٢٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٩.

(٣) تفسير الطبري: تحقيق محمود شاكر - دار المعارف ٤٠/٥ و٤١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الكامل في التاريخ - دار الفكر، بيروت ١٩٧٨، ١/١٥٢.

(٦) البداية والنهاية ٢/٣٩.

(٧) المصدر السابق والصفحة.

(٨) المصدر السابق والصفحة.

(٩) تفسير الرازي ٧/٣١ - ٣٣.

(١٠) تفسير الرازي: دار الفكر ١٩٨١ - ٧/٣١ - ٣٣ باختصار وتصرف.

ثم يروى^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان عزيزاً وكان من علمائهم...

عزرا بين النبوة والكهانة:

وإذا كان معظم المصادر الإسلامية ترجح أن الذي مرَّ على القرية هو عزيز فمن هو عزيز هل كان نبياً أم كاهناً أم كاتباً... الخ.

تذكر المراجع الإسلامية قصة مماثلة واحدة تقريباً عن إماتة عزرا ثم إحيائه من جديد، فيقول ابن كثير^(٢): «إنه خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف أتى إلى قرية حين قامت الظهيرة، فاستلقى على قفاه، ونظر سقف تلك بيوت، ورأى ما فيها - وهي قائمة على عروشها - وقد باد أهلها، ورأى عظماً بالية، فقال: «أنى يحيى هذه الله بعد موتها»... فبعث الله الملك فقبض روحه، فأماته الله مائة عام، ثم نفخ فيه الروح، فقال له الملك: كم لبثت؟ قال: يوماً، أو بعض يوم، وذلك لأنه لبث صدر النهار عند الظهيرة، وبعث في آخر النهار، والشمس لم تغب «فركب حماره حتى أتى محلته، فأنكره الناس، وأنكر الناس، وأنكر منزله، فانطلق - على وهم منه - حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم، فخرج عنهم عزيز وهي بنت عشرين سنة.

كانت عرفته وعقلته، فلما أصابها الزمانة، فقال لها عزيز يا هذه أهذا منزل عزيز؟ قالت: نعم هذا منزل عزيز، فبكت، وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً، وقد نسيه الناس، قال: فإنني أنا عزيز، كان الله أمانتي مائة سنة، ثم بعثني، قالت: سبحان الله! فإن عزيزاً قد فقدناه منذ مائة سنة، فلم نسمع له بذكر، قال: فإنني أنا عزيز، قالت: فإن عزيزاً رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فادع الله أن يرد علي بصري حتى

(١) تفسير الرازي: دار الفكر ١٩٨١ - ٣١/٧ - ٣٣ باختصار وتصرف.

(٢) البداية والنهاية ٤٤/٢ - ٤٥ باختصار وتصرف - مكتبة المعارف - بيروت.

أراك، فإن كنت عزيزاً عرفتك، قال: فدعا ربه ومسح بيده على عينيها، فصحتا، وأخذ بيدها، وقال قومي بإذن الله، فأطلق الله رجليها، فقامت صحيحة، كأنما نشطت من عقال، فنظرت، فقالت: أشهد أنك عزيز، وانطلقت إلى محله بني إسرائيل، فنادتهم، فقالت: هذا عزيز قد جاءكم، فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم، دعا لي ربه فرد عليّ بصري، وأطلق رجلي، وزعم أن الله أماته مائة سنة، ثم بعثه، قال: فنهض الناس، فأقبلوا إليه، فنظروا إليه، فقال: ابنه كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه فكشف عن كتفيه، فإذا هو عزيز، فقالت بنو إسرائيل: فإنه لم يكن فينا أحد حفظ التوراة - فيما حدثنا - غير عزيز، وقد حرق بخت نصر التوراة، ولم يبق شيء إلا ما حفظت الرجال، فاكتبها لنا، وكان أبوه سروخاً، وقد دفن التوراة أيام بخت نصر في موضع لا يعرفه أحد غير عزيز، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره، فاستخرج التوراة، وكان قد عفن الورق، ودرس الكتاب، قال وجلس في ظل شجرة، وبنو إسرائيل حوله، فجدد لهم التوراة، ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه، فتذكر التوراة، فجدها لبني إسرائيل، وكان جدد لهم التوراة بأرض السواد بدير حزقيل. والقرية التي مات فيها يقال لها (سايراباذ). قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ يعني لبني إسرائيل. وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ، وهو شاب لأنه مات وهو ابن أربعين سنة، فبعثه الله شاباً كهيةً يوم مات، قال ابن عباس: بعث بعد بختت نصر، وكذلك قال الحسن».

ويتضح من كلام ابن كثير: أن الذي مر على قرية هو عزيز، كما يوحى كلامه: أنه جدد من التوراة بإلهام من الله تعالى، ويؤكد ابن كثير هذا الرأي في موضع آخر في قصص الأنبياء، حيث يرى أنه هو الذي جدد التوراة لبني إسرائيل^(١)، وأنه كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل على حسب المشهور من الأقوال^(٢).

(١) ابن كثير: قصص الأنبياء - دار القلم ص ٥٣٩.

(٢) المصدر السابق ص ٥٤٠.

ويوافقه ابن جرير الطبري ويذكر عزيزاً مع الأنبياء، ويروى قصة طريفة في هذا الشأن، ويقول عن عودة بني إسرائيل من السبي البابلي إلى الشام:

ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله، كانت التوراة قد استتبت منهم، فحرقوا، وهلكوا، وكان عزيز من السبائا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره، قد خرج من الناس فتوحد منهم، وإنما هو ببطون الأدوية وبالفلوات يبكي، فبينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها، إذ أقبل إليه رجل وهو جالس، فقال: يا عزيز، ما يبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده، كان بين أظهرنا، فبلغت بنا خطايانا، وغضب ربنا علينا أن سلط علينا عدونا، فقتل رجالنا، وأخرب بلادنا، وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا، الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره - أو كما قال - فعلام أبكي إذا لم أبك على هذا! قال: افتحَبْ أن يرد ذلك عليك؟ قال: وهل إلى ذلك من سبيل؟ قال: نعم ارجع فُصِّمْ وتطهَّرْ وطهر ثيابك، ثم موعدك هذا المكان غداً.

فرجع عزيز، فصام وتطهر، وطهر ثيابه، ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء - وكان ملكاً بعثه الله إليه - فسقاه من ذلك الإناء، فمثلت التوراة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها، وحرامها، وسننها، وفرائضها، وحدودها. فأحبوه حباً لم يحبوه شيئاً قط، وقامت التوراة بين أظهرهم، وصلح بها أمرهم، وأقام بين أظهرهم عزيز مؤدياً لحق الله، ثم قبضه الله على ذلك، ثم حدثت فيهم الأحداث، حتى قالوا لعزيز: هو ابن الله، وعاد الله عليهم فبعث فيهم نبياً، كما كان يصنع بهم، يسد أمرهم، ويعلمهم بإقامة التوراة وما فيها^(١).

أما فخر الدين الرازي فيذكر^(٢) الاختلاف بين العلماء حول شخصية صاحب القرية في الآية السابقة «أو كالذي مر على قرية... الخ ثم يذكر^(٣) رأى

(١) الطبري: قصص الأنبياء - ٤١٦ - ٤١٧. وانظر تفسير ابن كثير ٢/٣٨٤.

(٢) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ٧/٣٢.

(٣) المصدر السابق - ص ٣٢.

القائلين: بأنه كان كافراً، مع أدلتهم، ويعقب على كل دليل بالرد عليه، ثم يذكر^(١) رأى القائلين: بأنه كان مؤمناً نبياً، مع أدلتهم، مؤيداً هذا الرأي، ناقداً الشبهات التي ترد عليها، وفيما يلي نذكر هذه الأدلة: إذ يقول^(٢): وحجة من قال: إنه كان مؤمناً وكان نبياً وجوه:

(الأول) أن قوله (أني يحيي هذه الله بعد موتها) يدل على أنه كان عالماً بالله، وعلى أنه كان عالماً بأنه تعالى يصح منه الإحياء في الجملة، لأن تخصيص هذا الشيء باستبعاد الإحياء إنما يصح أن لو حصل الاعتراف بالقدرة على الإحياء في الجملة، فأما من يعتقد أن القدرة على الإحياء ممتنعة، لم يبق لهذا التخصيص فائدة.

(الحجة الثانية): أن قوله: ﴿كم لبثت﴾ لا بد له من قائل، والمذكور السابق هو الله تعالى، فصار التقدير: قال الله تعالى: ﴿كم لبثت﴾ فقال ذلك الإنسان: ﴿لبثت يوماً أو بعض يوم﴾، فقال الله تعالى: ﴿بل لبثت مائة عام﴾ ومما يؤكد أن قائل هذا القول هو الله تعالى: قوله: ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ ومن المعلوم أن القادر على جعله آية للناس هو الله تعالى، ثم قال: ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها، ثم نكسوها لحماً﴾ ولا شك أن قائل هذا القول هو الله تعالى، فثبت أن هذه الآية دالة من هذه الوجوه الكثيرة على أنه تكلم معه، ومعلوم أن هذا لا يليق بحال الكافر.

(الحجة الثالثة): أن إعادته حياً وإبقاء الطعام والشراب على حالهما، وإعادة الحمار حياً بعد ما صار رميماً مع كونه مشاهداً لإعادة أجزاء الحمار إلى التركيب وإلى الحياة إكرام عظيم وتشريف كريم، وذلك لا يليق بحال الكافر له.

(الحجة الرابعة): أنه تعالى قال في حق هذا الشخص: (ولنجعلك آية للناس) هذا اللفظ إنما يستعمل في حق الأنبياء والرسل قال تعالى: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ فكان هذا وعداً من الله تعالى بأنه يجعله نبياً، وأيضاً

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق بتصريف واختصار.

فهذا الكلام وإن لم يدل على النبوة بصريحه فلا شك أنه يفيد التشريف العظيم، وذلك لا يليق بحال من مات على الكفر وعلى الشك في قدرة الله تعالى.

(الحجة الخامسة) ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في سبب نزول الآية قال: إن باختصر غزا بني اسرائيل، فسبى منهم الكثيرين، ومنهم: عزيز، وكان من علمائهم، فجاء بهم إلى بابل، فدخل عزيز يوماً تلك القرية ونزل تحت شجرة وهو على حمار، فربط حماره وطاف في القرية، فلم ير فيها أحداً، فعجب من ذلك، وقال: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) لا على سبيل الشك في القدرة، بل على سبيل الاستبعاد بحسب العادة.

وبعد أن يستعرض الرازي أقوال هؤلاء - مؤيداً رأيهم - يتكلم عن رحلة هذا الشخص وقصته، قريباً إلى ما ذكره ابن كثير والطبري، ثم يقول^(١): «إنه دخل بيت المقدس، فقال القوم: حدثنا آبائنا: أن عزيز بن شرخيا مات ببابل... فلما آتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة، وأملاها عليهم عن ظهر قلبه، لم يخرم منها حرفاً، وكانت التوراة قد دفنت في موضع، فأخرجت وعرض بما أملاه فما اختلفا في حرف، فعند ذلك قالوا: عزيز بن الله». وبعد أن يستكمل القصة يضيف^(٢): «وهذه الرواية مشهورة فيما بين الناس وذلك يدل على أن ذلك المار كان نبياً».

رأي ابن قيم وابن حزم:

يتضح مما ذكرنا: أن هنالك فريقاً من العلماء المسلمين يرى أن عزيزاً كان نبياً، وأنه هو الذي كتب التوراة أو جدها لليهود، ومن هؤلاء: مفسرون لهم مكانتهم، مثل: الطبري، والرازي، وابن كثير. وإزاء ذلك هناك من ينكر نبوته، فالإمامان: ابن حزم، وابن قيم الجوزية اللذان ذكرنا آراءهما حول تحريف التوراة يريان أنه كان وراقاً أو كاهناً، إذ يقول ابن حزم^(٣) عن التوراة: «أملاها

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفصل في الملل... ٢٩٨/١.

عليهم من حفظه عزرا الوراق الهاروني، وهم مقرون أنه وجدها عندهم، وفيها خلل كثير فأصلحه... وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلاً...».

ومعنى ذلك أن عزرا كاتب التوراة كان وراقاً في نظر ابن حزم، ولم يكن نبياً، بل لم يكن هناك في ذلك الوقت نبي أصلاً.

وأما ابن قيم الجوزية فيرى أنه كان كاهناً أو وراقاً، فيقول^(١): «فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلكم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما اجتمعت منه هذه التوراة التي بأيديهم».

والنص يدل على أن عزرا كان كاهناً يحفظ بعض التوراة، كما كان يحفظها بعض الكهنة الآخرين.

ثم يصف ابن قيم عزرا الكاهن بقوله^(٢)... «ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة، فزعموا أن النور الآن يظهر على قبره، وهو عند بطائح العراق، لأنه جمع لهم ما يحفظ دينهم، وغلا بعضهم فيه حتى قال: هو ابن الله، ولذلك نسب الله تعالى ذلك إلى اليهود، إلى جنسهم لا إلى كل واحد منهم» ويقول ابن قيم في موضع آخر^(٣) فهذه التوراة التي بأيديهم - على الحقيقة - كتاب عزيز «ثم يصف^(٤) عزير بأنه» رجل جاهل بصفات الرب تعالى وما ينبغي له، وما لا يجوز عليه، فلذلك نسب إلى الرب تعالى ما يتقدس ويتنزه عنه وهذا الرجل يعرف عند اليهود والنصارى بعازر الوراق».

(١) إغاثة اللهفان ٣٥٢/٢.

(٢) المصدر السابق ٣٥٢/٢ - ٥٣.

وفي النص إشارة إلى قوله تعالى: [وقالت اليهود عزير ابن الله]، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري: أن فئة من اليهود - هم يهود خيبر - كانوا يقولون بذلك، كما كان بعض يهود المدينة - أيضاً - يعتقدون فيه.

(٣) هداية الحيارى: دار الكتب العلمية - بيروت ص ١٠٩.

(٤) هداية الحيارى: دار الكتب العلمية - بيروت ص ١٠٩.

المناقشة:

والحقيقة: فإن الحكم القاطع على شخص بأنه نبي أو رسول، إنما يقتضي نصاً من الكتاب أو السنة، والمعروف أنه لا نص على عزرا ونبوته، فالقرآن الكريم لم يذكر لنا إلا أسماء حوالي ٢٥ رسولاً ونبياً، ذكر ١٨ منهم في موضع واحد^(١)، وذكر الباقيين في مواضع متفرقة^(٢)، وليس بينهم عزرا.

أما ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي زر الغفاري رضي الله عنه^(٣) وذكره كثير من العلماء في كتبهم من أن عدد الأنبياء والمرسلين يبلغ مائة وأربعة وعشرين ألفاً، فهو ذكر إجمالي لعدددهم، لم ينص على شخص معين. وبالتالي فلا دليل. من الكتاب والسنة على نبوة عزرا كاتب التوراة.

أما عن الأدلة التي يقيمها فخر الدين الرازي على نبوته: فإنها مبنية على أساس أن المار بالقرية كان عزيزاً، وهو نفسه عزرا كاتب التوراة، وليس هناك

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١) وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن دُرِّيْتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ سورة الأنعام ٨٣ - ٨٦.

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ (آل عمران ٣٣) وقوله تعالى ﴿وَالِإِيَّاهُمُ هُودًا﴾ (الاعراف ٦٥) وقوله تعالى: ﴿وَالِإِيَّاهُمُ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (الاعراف ٧٣) وقوله تعالى: ﴿وَالِإِيَّاهُمُ شُعَيْبًا﴾ (الاعراف ٨٥) وقوله تعالى ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنبياء ٨٥).

(٣) فقد روى الإمام أحمد عن أبي زر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم. قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: نعم، نبي مكرم. قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر، جما غفيرا، وفي رواية أبي أمامة: قال أبو زر: قلت: يا رسول الله، كم عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر، جما غفيرا. (رواه أحمد). وقد أورده كثير من حفاظ الحديث. انظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد ١٩/١ وابن حجر: فتح الباري ٦/٢٥٧ ومشكاة المصابيح ٣/١٢.

ما يقطع بذلك، فالخلاافات حوله كثيرة كما رأينا، ورواية التوراة نفسها لا تؤيد هذا الرأي كما سيأتي، وإنما تؤيد رأي ابن قيم الجوزية من أنه كان كاهناً.

ولهذا يقول ابن قيم الجوزية^(١): «ويظن بعض الناس أنه هو الذي مر على قرية، ويقولون: إنه نبي ولا دليل على هاتين المقدمتين، ويجب التثبت في ذلك نفيًا وإثباتًا» ثم يضيف مؤكداً أنه ليس ذلك الرجل، فيقول: «فإن كان هذا نبياً واسمه عزيز فقد وافق صاحب التوراة في الاسم» فقط.

ومما يؤيد رأي ابن قيم الجوزية: أن التوراة نفسها لم تذكر تلك القصة أو التجربة التي مر بها كاتبها، مما يدل على أن المار بالقرية قد يكون شخصاً آخر غير صاحب التوراة.

ويذكر الفيلسوف والعالم اليهودي الشهير موسى بن ميمون الأنبياء ودرجاتهم^(٢) ولا يذكر عزرا منهم، أما اسم عزريا بن عوديد الذي ورد في كتاب^(٣) فليس المقصود به هو عزرا كاتب التوراة، إنما هو شخص آخر، ونسبه ومهمته موجودة في التوراة.

كما يذكر صاحب كتاب قاموس الكتاب المقدس^(٤) أسماء الأنبياء الذين كانوا أيام السبي البابلي وبعده، ولا يذكر عزرا منهم، بل يذكر عزرا ككاهن وكاتب، خاطبه الملك الفارسي بهذا الاسم^(٥).

وسفر عزرا^(٦) في التوراة يخاطبه أو يسميه باسم كاتب ماهر أحياناً وباسم الكاهن الكاتب أحياناً أخرى، فيقول^(٧) - مثلاً -: عزرا هذا صعد من بابل، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاه الرب إله إسرائيل.

(١) هداية الحيارى ص ١٠٩.

(٢) انظر دلالة الحائرين - ص ٤٣٢ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ص ٤٣٦.

(٤) انظر د. جورج يوست ص ٦٢١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) وهي من الأسفار التاريخية الاثني عشر سفرًا، انظر أول البحث.

(٧) عزرا ٧: ٦.

ثم ينقل^(١) صورة الرسالة التي أعطاها الملك الفارسي ارتحشتا لعزرا الكاهن الكاتب، كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل، وهي تبدأ بقول الملك^(٢): من ارتحشتا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب الشريعة إله السماء الكامل إلى آخره، قد صدر مني أمر أن كل من أراد في ملكي من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم معك فليرجع....».

ويتضح من كل ما ذكرناه أن عزرا ليس نبياً، حتى عند اليهود، أو عند المصادر اليهودية نفسها، وإن كان - ولا يزال - يتمتع لديهم بقدر كبير من الاحترام يحترمه بنو إسرائيل احترامهم لموسى وإيليا؛ لأنه قام بالإصلاح الديني، ولعب دوراً كبيراً في بناء الهيكل من جديد، وأصدر أوامره بتنفيذ تعاليم الشريعة وتقديم المحارق والذبائح اليومية والأسبوعية، ومنع الزواج من الأجنيات والعكس...^(٣). وقبل أن نترك موضع عزرا ينبغي الإشارة إلى أن هناك مصادر تلمح بأن عزرا نبي، وأنه هو الذي كتب التوراة، إلا أن التوراة التي كتبها ضاعت أيضاً (انظر إظهار الحق ٣٣١/١ وما بعدها)، وعلى كل حال فذلك لا يغير من الواقع شيئاً وهو أن التوراة الحالية لم يكتبها نبي معصوم.

عزرا المؤرخ:

ومن الدراسات والأبحاث الحديثة في هذا الموضوع: ما نشرته مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية تحت عنوان: فرض في التوراة قابل للتحقيق^(٤)، يرى فيه الباحث أن عزرا كتب تاريخاً لبني إسرائيل، أو أعاد كتابة تاريخ نبي إسرائيل، لما كان يتمتع به من معرفة واسعة وخطوة كبيرة في بلاط كوروش الملك الفارسي الذي فتح له مكتبته العلمية الملكية، ولكنه ربما لأسباب شخصية

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق آية ١١ و١٢.

(٣) انظر: د. محمد علي البار: الله والأنبياء - ص ٥٤٤ - ٥٤٥.

(٤) بحث د. حمدي عبدالعال - مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - عدد ١٧، يونيو ١٩٩٠.

أو لضرورات دينية واجتماعية وسياسية انتهز فرصة تطور الأحداث التي انتهت بإصدار عفو ملكي عن اليهود والسماح لهم بالعودة إلى أورشليم ليخلع على تاريخه رداء التوراة، ويتحول من مؤرخ إلى كاهن حفيظ على تراث إسرائيل المقدس^(١).

ويستدل الباحث على رأيه بالأدلة والمبررات التي نوجزها في التالي:

«عدم إعلان عزرا عن حيازته للتوراة طوال زمن السبي، وزميله «نحميا» الذي كان يعمل ساقيا للملك ارتحشتا، والذي عينه واليا على اليهود في يهوذا بعد عودتهم من السبي»^(٢).

«يفهم من الرواية التي أوردها» نحميا عن توراة عزرا بعد السبي، أن رؤساء الشعب والأخبار والكهنة، وكلهم كانوا من المعاصرين لعزرا في السبي، أنهم حين سمعوا ما تلاه عليهم عزرا على أنه كلام الله إلى موسى عليه السلاك غلبت عليهم الدهشة، وشهدوا صراحة على أن إسرائيل لم يقع لها مثل هذا الموقف مع التوراة منذ يشوع تلميذ موسى عليه السلام. فضلاً عما يدل عليه موقفهم هذا من أنهم لم يسمعوها من عزرا قبل ذلك، أو كان لديهم علم سابق عن وجود التوراة لديه.

«لو كانت تلك التوراة في حيازة عزرا، فإن منطق الأمور يقضي بأن يظهرها أيام السبي، لحاجة الشعب إليها للسلوى، وشد العزائم، والصبر وإحياء الأمل، والوحدة الوجدانية والفكرية والعقيدة، ولكن ما يؤكد النص السابق، أن الشعب لم يسبق له أن سمع بالتوراة، ليس في زمن السبي فحسب وإنما منذ دخولهم إلى فلسطين على يد يوشع بن نون»^(٣).

«ومما يرجح أن عزرا لم تكن لديه توراة موسى عليه السلام وإنما هو تاريخ ألفه معتمداً فيه على المراجع والسجلات البابلية، وما جمعه من أفواه

(١) المصدر السابق ص ٣٩ بتصرف.

(٢) صفحة ٤٠ من البحث.

(٣) المصدر السابق ص ٤١.

اليهود من تراث وأساطير: أنه لو كان لديه مثل هذه التوراة لبادر بالعودة إلى أورشليم، حاملاً إياها كرمز من الرموز المقدسة لليهود، ولكن على العكس، نجده لا يعود إلى أورشليم، إلا بتكليف ملكي، لحفظ الأمن والنظام في أورشليم، بعد عودة الشعب إلى دياره، وإعادة بناء البيت المقدس بزمان طويل. بل إن في مهمة عزرا التي كلفه الملك بإنجازها ما يثير كثيراً من الشكوك حول عزرا نفسه وعلاقته الملكية، والمهمة التي أريد له القيام بها، مما يرجع في الوقت نفسه أن ما ادعاه عزرا فيما كتبه من تاريخ من أنه توراة موسى، إنما كان يخفى وراءه أهدافاً سياسية، بمعنى أن هذه التوراة المزعومة قد وظفت لتحقيق أهداف سياسية^(١).

«التشابه الكبير في طريقة سرد الأحداث في أسفار اليهود، مع طريقة سجل الأخبار البابلي، من حيث الحرص على ذكر الأحداث تفصيلاً: باليوم، والشهر، والسنة»^(٢).

«المكانة الرفيعة التي تحتلها بابل وملكها في الأسفار اليهودية، والتي يعبر عنها النبي إرميا بعاطفة صريحة جياشة مفعمة بالتقدير العميق، وهو الذي شاهد تدمير وإحراق كل أورشليم، وذابت نفسه حسرات عليها، يقول: «بابل كأس ذهب بيد الرب، تسكر كل الأرض من خمرها. شربت الشعوب، من أجل ذلك جنت الشعوب...»^(٣).

«تأثر الأسفار الواضح بالنظم التشريعية والقضائية البابلية، وفي هذا يؤكد قاموس التوراة، الذي نشره «سكرينبر» في نيويورك سنة ١٩٠٩م: «أن الأصول القضائية والتشريع، وكذلك الطقوس المعمول بها في المعابد البابلية يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية في الأصول القضائية والطقوس الدينية»^(٤).

(١) المصدر السابق ٤٢.

(٢) المصدر السابق ٤٥.

(٣) المصدر السابق ٤٦.

(٤) المصدر السابق ٤٩.

ما ذكره الباحثون من أن معظم الديانات التي ذكرت في الأسفار القديمة على أنها من صلب التاريخ اليهودي إنما نقلت عن قصص وأساطير بابلية قديمة». أنتهت أدلة الباحث

المناقشة:

والحقيقة: فإنه ليس في هذه الأدلة ما يقطع أو يبرهن على دعوى الباحث بأن عزرا كان مؤرخاً، وكتب التاريخ، ثم سماه تورا، ذلك لأن عدم وجود التورا مع عزرا في المنفى، وبالتالي عدم الإعلان عنها في بابل على الرغم من حاجة اليهود إليها، لا ينفي دعوى اليهود أن عزرا كتب التورا بعد العودة إلى أورشليم بإلهام من الله تعالى^(١).

وذلك يفسر - أيضاً - دهشة الكهنة ورجال الدين من قراءة عزرا للتورا، وليس في كل ذلك دليل على أن عزرا كتب تاريخاً في باب وسماه بالتورا، أما وجود المكتبة الملكية في بابل واستفادة عزرا منها، وتأثر تشريعات التورا في بعض الحالات بالتشريعات البابلية، فتحتاج إلى مقارنات مستفيضة تفصيلية مسهبة جداً، يستغرق عدة مجلدات، لأنها تتم في كتاب (العهد القديم) يبلغ حجمه أربعة أضعاف حجم القرآن الكريم تقريباً، وأنه خلط الحابل بالنابل، ومع ذلك فإن كتابة عزرا للتورا لا خلاف فيها بين الباحث وسائر الباحثين المسلمين القائلين بتحريف ألفاظ التورا، وعلى هذا فقد يكون الجديد لدى الباحث - أيضاً - قضية محسومة بين الباحثين، استفادته من المكتبة البابلية في كتابة التورا وهي قضية قلنا: إنها تحتاج إلى مقارنات مسهبة.

أما أن ننظر إلى عزرا الذي تسميه المراجع الإسلامية بالنبي، أو الكاتب، أو الكاهن، وتنظر إليها المراجع اليهودية - أيضاً - بأنه كاتب أو كاهن، أي ننظر

(١) هناك كاهن ونبي في الديانة اليهودية. وقد يكون الكاهن أعلى من النبي، وأعظم شأنًا، وكثيرًا ما حكم الكهنة على الأنبياء بالقتل، والأنبياء عند اليهود ليسوا معصومين كما هو الحال في الإسلام، وبالتالي فإن كونه كاهنًا لا ينفي الإلهام لديهم.

إليه نظرة جديدة هي أنه مؤرخ، كتب تاريخاً، ثم سماه التوراة، فقد يحتاج إلى كثير من البرهنة لإثبات صدقة.

ولعل الباحث استشعر هذه الصعوبة فسمى بحثه بأنه فرض أو فرضية فقط (فرض قابل للتحقيق) ويرجو في ختام بحثه أن يتحقق أو يتحول ذلك إلى نظرية علمية مقبولة في المستقبل^(١).

ونحن نقول: إنه حتى ذلك الحين يظل الرأي العلمي السائد هو الأصل، وهو أن عزرا كاهن أو كاتب، وليس مؤرخاً، هذا ما يقوله الرأي الراجح عند العلماء المسلمين، لما سقنا من الأدلة آنفاً.

نقد متن التوراة:

عرفنا أن عزرا كاهن أو كاتب، والآن سوف نقوم بدراسة متن التوراة التي كتبها، وذلك لهدف مزدوج، لأن هذه الدراسة تعرفنا أكثر بهذه الشخصية من جهة، وتدلنا - في الوقت نفسه - على حقيقة التوراة من جهة أخرى، لنعرف إذا ما كانت تلك التوراة قد حرفت لفظاً ومعنى أم أن تحريفها يعنى تحريف معانيها فقط، وبالتالي ستلعب هذه الدراسة - مع ما ذكرنا آنفاً من شخصية عزرا - الدور الحاسم في الموضوع الذي بدأنا به البحث.

وسوف نقسم هذه الدراسة إلى عدة عناوين هي:

- ١ - صفات الرب في التوراة، فالادعاء بأن التوراة من وحي الله تعالى لم تحرف يقتضي أن نعرف ماذا يقول هذا الوحي المدّعى نفسه، عن الله تعالى الذي أوحاه.
- ٢ - صفات الرسل والأنبياء عليهم السلام، ذلك لأن الإدعاء بأن التوراة وحي من الله تعالى يقتضي معرفة حملة الوحي الذي نقلوه، فهل هم معصمون أماء على هذه الأمانة عند التوراة نفسها؟

(١) انظر صفحة ٥٩.

٣ - التوراة وحقائق العقل والعلم، فإن العقل عندما يحكم على كتاب ما بأنه وحي من الله يقتضي ذلك ألا يناقض هذا الكتاب الحقائق العقلية والعلمية الراسخة.

٤ - وأخيراً، سوف نعرض كل ما نتوصل إليه ونلاحظه خلال هذه الدراسة على علماء التوراة، ماذا يقولون؟ وكيف يحكمون؟ هل يضطرون أمام الحقائق الدامغة للاعتراف بالتحريف بصورة أو بأخرى؟

صفات الرب تعالى:

ولنبداً بأول موضوع وهو صفات الرب تعالى في التوراة ونلاحظ أن متنها طافح بنسبة صفات النقص إلى الله تعالى، فهو يندم، ويحزن «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه...»^(١) ويخاف أن يصبح الإنسان مثله «وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل، ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن»^(٢).

وقد يعزم الرب سبحانه وتعالى - حسب نصوص تورا عزرا - على أمر فيتقدم إليه هناك من يتقدم، ليحذره من عواقب ما سيفعله، فينتبه ويرجع عن عزمه «وغضب يهوه على بني إسرائيل، وقال لموسى: اتركني، ليحمي غضبي عليهم، وأفنيهم. فقال له موسى: اندم على الشر بشعبك، ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه!!»^(٣).

وهكذا، فإن الإله الرب خالق السماوات والأرض، غير معصوم - حسب تورا عزرا - من صفات الندم والحزن والأسف والحسد مع البشر، ويصل

(١) تكوين الإصحاح ٦ «انظر صموئيل الأول ١٥: ١٠ - ١١.

(٢) تكوين ٣: ٢٢ - ٢٤.

(٣) الخروج ٣٢: ٧ - ١٥.

الأمر بالتوراة إلى الاعتراف بعدة آلهة مثل قول التوراة^(١): لا مثل لك بين الآلهة يا رب.

و «عرفت أن الرب عظيم، وربنا فوق جميع الآلهة»^(٢).

و «ترنيمة الخروج تتساءل: من مثلك بين الآلهة يا رب»^(٣).

و «الآن علمت أن يهوه أعظم من جميع الآلهة»^(٤).

ويدرك التعب الرب فيستريح، لكي يستعيد نشاطه... لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس»^(٥).

صفات الرسل والأنبياء في التوراة:

فإذا ما انتقلنا من صفات الرب تعالى إلى صفات الرسل والأنبياء عليهم السلام فسوف نجد في التوراة نسبة كل صفات الخسّة والدناءة إليهم، عليهم السلام، فلو ط عليه السلام زنى بابنتيه^(٦)، ويهوذا - جد اليهود - زنى بزوجة ابنه^(٧)، فجاء منها بفارص وزارح، وكان داود عليه السلام من الأول. وداود عليه السلام نفسه دبر مؤامرة دنيئة جدا ضد أحد قادته حتى اغتاله، لكي يتزوج بامرأته.

وهارون عليه السلام هو الذي دعا اليهود إلى عبادة العجل في سيناء^(٨) وسليمان عليه السلام كفر في أواخر حياته وعبد الأوثان^(٩).

(١) المزمور ٨٦/٨.

(٢) المزمور ١٣٥/٥.

(٣) الخروج ١٥/١١.

(٤) الخروج ١٨/١١.

(٥) الخروج ٣١/١٧.

(٦) التكوين ١٩: ٣٠ - ٣٦ وقد حملت الابنتان من أبيهما وكانت قبيلتا موآبيين وبني عمون منها (المصدر السابق).

(٧) التكوين ٣٨.

(٨) صموئيل الثاني ١١.

(٩) سفر الخروج ٣٢: ١ - ٦.

وموسى عليه السلام أمر نساء بني اسرائيل ليلة الخروج من مصر -
بناء على طلب الرب بسرقة - حلي ومجوهرات المصريين^(١).

ومن الطبيعي أن يتساءل المرء هل صدر كل ذلك عن الرسل والأبياء حملة
الوحي وصفوة البشر وخير الخلق؟ أم أن عزرا كاتب التوراة افترى عليهم؟

فإذا كان الثاني فقد ثبت التحريف في التوراة، أما إذا كان الأول فمن أين
الثقة في مثل هؤلاء الناس الذين فسقوا عن أوامر ربهم بل كفروا به؟ وبالتالي
من أين الثقة فيما يأتون به مما يسمونه بالوحي؟ وإن جاز عليهم الفسق والكفر
أفلا يجوز عليهم الخيانة والكذب في الوحي والتبليغ أيضاً؟

وأخيراً ما الهدف من ذكر هذه المعاصي والآثام ونسبتها إلى صفوة
البشر، حملة الوحي الإلهي الذين اختارهم الله تعالى لأشرف رسالة هي تبليغ
وحيه وتعاليمه وشرائعه إلى خلقه؟ أليس كل ذلك دعوة - من طرف خفي -
إلى ارتكاب تلك الموبقات والحث عليها؟ ثم أليس ذلك أحد أسباب انتشار
الفحشاء والجريمة في المجتمعات الغربية؟

وكيف يتفق ذلك كله مع وحي السماء الذي يدعو عادة إلى الفضيلة
والصدق والطهارة؟

لقد أقحم أحد الدعاة المسلمين^(٢) مناظره النصراني وذلك بتحديه أن يقرأ
أحد أسفار التوراة أمام الجمهور، وإلا كيف يكون هذا السفر وحياً إلهياً والقس
يخجل من قراءته أمام الجمهور؟!

تناقضات التوراة مع العقل والعلم:

هناك دراسة جادة قام بها العالم والطبيب الفرنسي الشهير موريس
يوكاي^(٣) حول مدى مطابقة الكتب المقدسة: التوراة والإنجيل والقرآن الكريم

(١) سفر الملوك ١١: ١ - ٢.

(٢) سفر الخروج ٣: ٢٢.

(٣) هو الأستاذ أحمد ديدات في مناظرته الشهيرة مع القس سويجارت، والسفر كان سفر حزقيال
الذي يذكر عن التفاصيل الجنسية، انظر: المناظرة الحديثة، تقديم محمد الغزالي - مكتبة
زهران ١٩٨٨. وقد اضطر القس أخيراً أن يقرأ السفر، ولكن بعد مفاوضات ومراوغات عدة
وتدخل من قبل مدير الندوة، انظر: المناظرة الحديثة ص ١٨٤، مكتبة زهران ١٩٨٨، القاهرة.

للحقائق العلمية اليوم، لكي يقول في بحثه^(١): أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا.

«وعلى سبيل المثال فإننا نجهل التاريخ التقريبي لظهور الإنسان على الأرض، غير أنه قد اكتشفت آثاره لأعمال بشرية نستطيع وضع تاريخها فيما قبل الألف العاشرة من التاريخ المسيحي، دون أن يكون هناك أي مكان للشك. وعليه فإننا لا نستطيع علمياً قبول صحة نص سفر التكوين الذي يعطي أنساباً وتواريخ تحدد أصل الإنسان (خلق آدم) بحوالي ٣٧ قرناً قبل المسيح. وربما استطاع العلم في المستقبل أن يحدد لذلك تواريخ فوق تقديراتنا الحالية. غير أننا نستطيع أن نطمئن إلى أنه لن يمكن أبداً إثبات أن الإنسان قد ظهر على الأرض منذ ٥٧٣٦ سنة كما يقول التاريخ العبري في ١٩٧٥. وبناء على ذلك فإن معطيات التوراة الخاصة بقديم الإنسان غير صحيحة».

ومن ذلك ما يذكره صاحب كتاب إظهار الحق عن أولاد بنيامين إذ «يفهم من الباب السابع (سفر أخبار الأيام الأول) أن أبناء بنيامين ثلاثة ومن الباب الثامن أنهم خمسة، ومن أسفار أخرى في التوراة، أنهم عشرة، واتفق علماء أهل الكتاب أن ما وقع في السفر الأول غلط، وبينوا سبب وقوع الغلط أن عزرا ما حصل له التمييز بين الأبناء، وأبناء الأبناء، وأن أوراق النسب التي نقل عنها كانت ناقصة».

يعلق على ذلك صاحب كتاب إظهار الحق فيقول:^(٢) «فعلم أن التوراة، مجموع من الروايات والقصص المشهورة بين اليهود، جمعها أحبارهم في هذا المجموع بلا تنقيح الروايات»^(٣).

ومن التناقضات التي ترفضها حقائق العلم والتاريخ ما يذكره أيضاً

(١) المصدر السابق.

(٢) إظهار الحق ص ٦٣/١.

(٣) المصدر السابق.

صاحب كتاب: إظهار الحق^(١) عن بعض الأسفار أن عدد بني إسرائيل أثناء خروجهم من مصر كان يبلغ ست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين شخصاً من الجنود، وهذا يقتضي أن يكون مجموع السكان حوالي مليونين من البشر، بينما ورد في أسفار أخرى أن جميع نفوس بيت يعقوب عليه السلام عندما هاجروا إلى مصر كانوا سبعين شخصاً. فإذا ما عرفنا أن بني إسرائيل خرجوا من مصر بعد حوالي أكثر من قرنين تقريباً من دخول يعقوب إليها، ثم فرضنا أن عددهم كان يتضاعف كل ٢٥ سنة، فلا يمكن أن يبلغ عددهم خلال هذه الفترة إلى أكثر من عشرين أو ثلاثين ألفاً، ولا سيما أن فرعون كان يقتل أبناءهم خوفاً من ظهور أو ولادة موسى عليه السلام، كما هو معروف.

وحقاً ما يقوله صاحب كتاب إظهار الحق، فأمامنا شعوب ودول في عالم اليوم تتمتع بنظام إحصائي دقيق منذ عشرات بل مئات السنين، فأبي شعب أو أمة تكاثر عددها من ٧٠ شخصاً إلى مليونين من البشر في مدة لا تتجاوز مائتي عام.

ومن ذلك ما ورد في سفر العدد^(٢) أن الرجل إذا شك في زوجته يذهب بها إلى الكاهن الذي يوقفها أمامه مكشوفة الرأس ويقدم ماءً مقدساً مخلوطاً بتراب المعبد ويسقيها منه، فإن كانت بريئة لا يصيبها ضرر، وإن كانت آثمة تورم بطنها وفخذها.

ومخالفة ذلك مع العلم والعقل لا تحتاج إلى بيان أو توضيح، فإن أثر شرب الماء المخلوط بالغبار على جسد الإنسان يرتبط بقوة هذا الجسد وضعفه لا بارتكاب صاحبه المعصية أو عدم ارتكابه لها، فكيف يكون ذلك وسيلة من وسائل الإثبات أو النفي، ينص عليه التنزيل المحكم من عند الله تعالى؟!

(١) انظر ص ٦٨ وقرآن ب ٩٢ و٢٧٤ و١٢٨.

(٢) سفر العدد ١١: ٥ - ٣٠.

تلاعب أهل الكتاب بالكتاب المقدس واعترافهم بذلك:

ولا شك أن كل هذه المتناقضات التي لا سبيل إلى حلها أو الجمع بينها لا يمكن أن يكون وحياً من رب العالمين جاء به الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، مما لا يدع مجالاً للشك في تلاعب أهل الكتاب بما يسمونه بالكتاب المقدس عامة، والعهد القديم خاصة، وذلك بالإضافة فيه أحياناً، والحذف منه أحياناً أخرى.

فهناك نص في سفر التكوين يقول^(١): «وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك لبني إسرائيل» يقول عنه المفسر المعروف آدم كلارك^(٢): «وغالب ظني: أن موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية والآيات التي بعدها إلى الآيات التاسعة والثلاثين». وأظن - ظناً قوياً وقريباً من اليقين - أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة، فظن الناقل أنها جزء المتن فأدخلها فيه»^(٣).

ومعنى ذلك: أن مفسر التوراة يعترف بأن أسلافه أضافوا على توراة موسى ما ليس منها، فإذا لم يكن هذا هو التحريف بعينه فما هو التحريف؟ والذي جعل أدون كلارك يعترف بذلك هو التناقض الموجود في النص فبنو إسرائيل ملكوا أرض أدون بعد ٣٥٠ سنة من موسى عليه السلام الذي كتب التوراة، فكيف يكون موسى هو الذي كتب هذه الآية والآيات التي تليها؟ ولم يكن أمامه إلا الاعتراف بالإضافة في التوراة.

ومثل هذا كثير في التوراة، سواء اعترف به رجال الدين اليهود أو لم يعترفوا، من ذلك مثلاً: ما ذكر في سفر الخروج^(٤) أن موسى عليه السلام قص على الشعب جميع كلام الرب، ثم كتبه، ذكر في سفر التثنية عن موت موسى

(١) سفر التكوين ٣٦.

(٢) انظر: رحمة الله، اظهر الحق ج ١/٢٤٦ وقارن ب ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر سفر التثنية ٣٤: ٧ - ٨ وانظر) أحمد ديدات: المناظرة الحديثة ١٤٢.

ودفنه ثم أعقب الخبر بالقول: ولم يعرف قبره إلى يومنا هذا، مما يدل دلالة قاطعة على أن موسى لم يكتب هذه التوراة، إذ كيف يكتبها وقد دفن ومات؟ أو أن موضوع موته ودفنه على الأقل قد أضيفا إلى نص التوراة فيما بعد من قبل رجال الدين الذين لم يجدوا بأساً في الإضافة على النص الإلهي.

وإذا كان المثالان السابقان عن إضافة رجال الدين في التوراة فهناك أمثلة أخرى كثيرة عن الحذف أو التغيير فيها، منها على سبيل المثال:

ما ورد عن تغلب داود عليه السلام على بعض الشعوب أثناء قتاله معهم إذ يقول النص الوارد في نسخة الكتاب المقدس الألمانية سفر صموئيل الثاني^(١): وأخرج الشعب الذي فيها، ووضعهم تحت مناشير ونوارج وفؤوس حديد، وأحرقهم في أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون».

والنص هنا - على الرغم من غرابته - إذا كيف يصدر مثل هذا الظلم عن النبي داود عليه السلام - يؤكد أنه عليه السلام أحرق الناس في جميع مدن بني عمون في أتون الآجر، ويعلق الأستاذ روجيه جارودي^(٢) على مثل هذه النصوص بأنها تغرس الإرهاب والعنف في وجدان اليهود، ثم يعقب على ذلك^(٣) بأن هذا الذي تذكره، التوراة لم تحدث على يد هؤلاء الأنبياء، كما تدلنا الحفريات الحديثة». إلا أن اليهود في منتصف ستينات القرن الحالي غيروا كلمة «أحرقهم في أتون الآجر» بكلمة «وشغلهم في أتون الآجر» وشتان بين الكلمتين: أحرقهم وشغلهم.

وهذا النص الأخير هو الموجود في النسخة أو الترجمة الألمانية والانجليزية، أما الترجمة العربية فورد فيها «وأمرهم في أتون الآجر»^(٤).

(١) صموئيل الثاني ١٢: ٣١.

(٢) انظر: جارودي: الأساطير المؤسسة ص ٥٧ وما بعدها.

(٣) انظر: جارودي: الأساطير المؤسسة ص ٥٧ وما بعدها.

(٤) انظر: المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد ٥٣ - ١٩٩٥ بحث زياد مني: الحرب المقدسة في التوراة ص ١٦ وما بعدها.

وهذه التحريفات - سواء بالإضافة في التوراة أو بالحذف فيها - هي نتيجة مراجعات مستمرة، فإنهم كلما اكتشفوا في توراة عزرا خطأ أو نصاً لم ينل إعجابهم قاموا بتصحيحه، ونسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس والتي تعد في نظرهم أنقى النسخ وأحسنها، وجد فيها العلماء البريطانيون في القرن الثامن عشر، عشرين ألف خطأ، وأثبتت الدراسات الحديثة أن تلك الأخطاء، يمكن أن تبلغ خمسين ألف خطأ، كما ينقل الأستاذ أحمد ديدات من مصادر بريطانية^(١).

ولقد كان نتيجة ذلك: إصدار الترجمة الانجليزية المراجعة في الأعوام ١٨٨١ - ١٨٨٥، ونظيرتها الترجمة القياسية الأمريكية في عام ١٩٠١.

واستمرت عملية تنقيح التراجم ومراجعتها إلى أن صدرت الترجمة القياسية المراجعة للكتاب المقدس بعهديه - القديم والجديد - في عام ١٩٥٢.

هذه المراجعات - وما يتبعها من الحذف والإضافة - تشير تساؤلاً حتمياً لدى كل قارئ ليس باستطاعة اليهود خاصة وأهل الكتاب عامة الإجابة عنه وهو: إذا كانت التوراة والكتاب المقدس وحياً إلهياً من السماء أنزله الرب سبحانه وتعالى فكيف يسمحون لأنفسهم بالحذف منه والإضافة فيه ومراجعة آياته بين فترة وأخرى؟!

ولهذا فإن المنصفين من اليهود أنفسهم لا يملكون إلا أن يعترفوا بتحريف التوراة، ومن أشهر هؤلاء الذين نقدوا التوراة كاشفاً ما فيها من التحريف والزيف: الفيلسوف اليهودي الشهير سببينوزا، فهو يرى^(٢) أن عزرا - وهو يكتب التوراة ولا سيما الأسفار الخمسة - أجرى فيها تعديلات كثيرة، «ويستدل على ذلك^(٣) بأمور كثيرة، منها: الخلافات القائمة بين سفري التثنية

(١) انظر: أحمد ديدات: خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس ص ٧ وما بعدها.

وانظر - أيضاً - لنفس المؤلف: هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ص ٤١ وما بعدها.

(٢) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٨١.

(٣) المصدر السابق.

والخروج من الوصايا العشر «حتى يقول اسبينوزا»^(١) «إن ميثاق الله قد ضاع، وإننا لا نملك منه إلا شذرات» وإن اختيار أسفار العهد القديم من بين أسفار كثيرة أخرى تم جمعها وأقرها مجلس الفريسيين»^(٢).

وهؤلاء طائفة من اليهود كانت موجودة أيام المسيح عليه السلام، ثم انقرضت، على أن هؤلاء الفريسيين أبقوا على البعض الذي يريدونه واستبعدوا البعض الآخر الذي لا يريدونه»^(٣).

ويستدل اسبينوزا^(٤) على ذلك بأن هناك من الموضوعات ما كان يرفضه الفرق اليهودية الأخرى، ويقبله الفريسيون. كما استدل بما أشار إليه الفريسيون أنفسهم بالتحديد في التلمود، فيقول»^(٥): نحن نقرأ في رسالة السبت (الفصل ٢، الورقة ٣٠) قال الحبر يهوذا المسمى ربي: أراد الأنبياء إخفاء سفر الجامعة لأن أقوالهم متناقضة لأقوال الشريعة.

ويقول بعد ذلك بقليل: وأرادوا - أيضاً - إخفاء سفر الأمثال.... الخ «ولعل ما يذكره اسبينوزا يفسر لنا ما في أسفار التوراة من الجنوح نحو الحروب والدمار والقتل مما يعكس طبيعة اليهود وليس الحقيقة الإلهية.

ويذكر الأستاذ أحمد ديدات^(٦) اعترافات بعض أهل الكتاب إذ يقول^(٧) «الدكتور دبليوجراهم سكروجي من معهد مودي بايبل في مدينة شيكاغو - وهو

(١) المصدر السابق ص ٣٣٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٣.

(٣) المصدر السابق ص ٣٢٦ باختصار. لمعرفة فرقة الفريسيين انظر: د. علي عبدالواحد في: الأسفار المقدسة ص ٦٣ وما بعدها.

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر: هل الكتاب المقدس كلام الله: ترجمة رياض أحمد باهبري، بيت الحكمة - القاهرة - ط ٢، ١٩٩٣.

(٧) المصدر السابق ص ٥.

أحد أوجه المنصرين المسيحيين في العالم، قال في الإجابة عن السؤال هل الكتاب المقدس من كلام الله ما يلي:

«نعم، إن الكتاب من وضع البشر، بالرغم من إنكار البعض لهذا القول من قبيل الحماسة، وليس عن علم، فقد خطت أقلام البشر هذه الأسفار، وبعبارتهم، بعد أن خطرت على عقولهم، فصدرت بأسلوب البشر، وتحمل صفاتهم».

ويقول الأستاذ موريس بوكاي - بعد أن يوضح تاريخ أسفار التوراة:-
«وعلى ذلك يبدو العهد القديم صرحاً أدبياً للشعب اليهودي منذ أصوله وحتى العصر المسيحي، ولقد دونت وأكملت وروجعت الأسفار التي يتكون منها فيما بين القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد. وليس هذا مطلقاً وجهة نظر شخصية نعطيها عن تاريخ تحرير هذه الأسفار. فالمعطيات الجوهرية لهذه الملحمة التاريخية مستقاة من مقال «التوراة Bible» بدائرة معارف أونيفرساليس للكاتب^(١) ج. ب. ساندروز J.P. Sandroz الأستاذ بكلية الدومينيكان بسولشوار Saulchoir، ولكي نفهم ما العهد القديم يجب أن تكون هذه المعلومات حاضرة في أذهاننا، وهي معلومات أثبتتها متخصصون على درجة عالية من الكفاءة.

إن الوحي يختلط بكل هذه الكتابات، ولكننا لا نملك اليوم إلا النصوص التي خلفها لنا الكتاب الذين عالجوا النصوص على سجيته، وحسب الظروف التي عاشوها، والضرورات التي كان عليهم مواجهتها».

ولعل هذه التحريفات التي لا يبقى مجالاً للشك في تحريف التوراة لفظاً ومعنى، وتبديلها هي من الأسباب التي أدت بطائفة من أحبار اليهود إلى الإسلام، تاركين وراءهم مؤلفات تدعو اليهود إلى أن يحذوا حذوهم.

(١) دراسة الكتاب المقدسة ص ٢٥.

ومن هؤلاء الحبر الأعظم: إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي صاحب كتاب الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية^(١).

ومنهم: الحكيم السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، صاحب كتاب بذل المجهود في أقحام اليهود^(٢) الذي يذكر فيه صاحبه نماذج من التحريفات في التوراة^(٣).

ومقدم الكتاب المذكور يذكر في مقدمته أسماء طائفة من أحبار اليهود والنصارى الذين تركوا دينهم إلى الإسلام، وأوضحوا ذلك في مؤلفاتهم^(٤).

الخلاصة والنتائج

١ - ثبت بطلان أدلة القائلين بعدم تحريف الألفاظ التي ثبت أنها حُرِفَتْ لفظاً ومعنىً بالتفصيل الذي ورد في ثنايا البحث.

٢ - لا دليل على نبوة عزرا كاتب التوراة، أما الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها... الخ فقد اختلف فيه العلماء، بين أرمياو عزيز، وعلى فرض أن يكون الثاني، فلا دليل يؤكد أنه عزرا كاتب التوراة، ولا سيما أن المصادر اليهودية نفسها تعتبره كاهناً أو كاتباً وليس نبياً.

(١) قدم لها عبدالوهاب طويلة - دار القلم - دمشق، وسبب تسمية الرسالة بهذا الاسم أنه يرى أن سبعة أمور هي التي دعت الحبر إلى ترك اليهودية واعتناق الإسلام، انظر ص ٩ وما بعدها من الرسالة.

(٢) قدم له عبدالوهاب طويلة - دار القلم - دمشق.

(٣) انظر: بذل المجهود ص ١١٤ وما بعدها، وقد أغفلنا ذكر تلك النماذج لإشارتنا إليها أو معظمها في السابق.

(٤) المصدر السابق ص ٨ وما بعدها.

قائمة بأسماء المراجع التي ورد ذكرها في البحث

- القرآن الكريم، صحيح البخاري، سنن أبي داود، مسند الإمام أحمد.
- العهد القديم.
- ابن الأثير:
- الكامل في التاريخ دار الفكر - بيروت ١٩٧٨
- ابن حجر (العسقلاني):
- فتح الباري شرح دار المعرفة - بيروت صحيح البخاري
- إبن حزم:
- الفصل في الملل والاهواء، دار الجيل - بيروت
- ابن قيم الجوزية:
- إغاثة اللهفان، مصطفى الحلبي - مصر
- زاد المعاد، دار إحياء التراث العربي.
- هداية الحيارى، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ابن كثير:
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت
- قصص الأنبياء، دار القلم - دمشق
- ابن ميمون:
- دلالة الحائرين، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة تحقيق د. حسين آتاي
- ابو الفداء (عماد الدين):
- المختصر في أخبار البشر دار المعارف - بيروت
- أحمد ديدات:
- خمسون ألف خطأ في الكتب المقدس، ترجمة: رمضان الصفناوي، المختار الإسلامي - القاهرة.

- هل الكتاب المقدس كلام الله؟ بيت الحكمة - القاهرة - ط ٢. ترجمة:
رياض أحمد باهري ١٩٩٣.

- المناظرة الحديثة مكتبة زهران - ١٩٨٨.

إسبينوزا:

- رسالة في اللاهوت والسياسة، دار الطليعة - بيروت - ط ٤، ترجمة
وتقديم: د. حسن حنفي ١٩٩٧.

إسرائيل بن شموئيل:

- الرسالة السبعية، دار القلم - دمشق، تقديم: عبدالوهاب طويلة
د. محمد علي البار:

- الله والأنبياء في التوراة، دار القلم - دمشق.

د. جورج بوست:

- قاموس الكتاب المقدس

موريس بوكاي:

- دراسة الكتب المقدسة، دار المعارف - القاهرة.

التبريزي (محمد عبدالله الخطيب):

- مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي ط ٣ ١٩٨٥.

الجارودي:

- الأساطير المؤسسة، دار الغد ١٩٦٦، ترجمة دار الغد العربي

الدهلوي (شاه ولي الله):

- الفوز الكبير في أصول التفسير، المكتبة العلمية - لاهور

الرازي (فخر الدين):

- مفاتيح الغيب، دار الفكر ١٩٨١

رحمة الله:

- إظهار الحق، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة

رشيد رضا:

- تفسير المنار، دار الفكر - بيروت

صموئيل بن يحيى:

- بذل الجهود في إفحام اليهود، دار القلم - دمشق - ط ١.
تقديم عبدالوهاب طويلة ١٩٨٩.

الطبري:

- تفسير الطبري، دار المعارف - القاهرة، تحقيق محمود شاكر
- قصص الأنبياء، دار الفكر - بيروت

الوافي (د. علي عبدالواحد):

- الأسفار المقدسة، نهضة - مصر